لاتقولوا لماذا...

مسرحية في فصل واحد

بقلم جان وتنك

ترجمة محمد كامل عارف

الوردة لا تقول لماذا
انها تزهر ، لانها تزهر .
الوردة لا تعتني بنفسها .
ولا تتساءل ان كان أحد يتطلع اليها .

انجيلوس سيليسوس

شخوص المسرحية

جاكوب : طفل	ساره
هنري : أبوه	آمي عمتاه
ايليا نور : أمه	كريكوري : جده
ماكس : ابن عمته	خادمان

●

المكان : غرفة عارية في العلية ، مضاءة بمصباح مجرد . الغرفة بباب واحد وبدون نوافذ . كرسي واحد في الغرفة يجلس عليه صبي صغير بالبيجاما . اسم الصبي جاكوب . الغرفة غير مغلقة من الخارج.

(هنري والد جاكوب يدخل) .

هنري : انك تعرف لماذا أنت هنا . محبوس . انت تعرف لماذا . الست تعرف ؟ اريدك ان تفهم ايها الولد السيىء ، أيها الولد الشقي. قل انك آسف . هيا ، اعتذر ، كلنا نفعل أشياء نأسف لاجلها ، ونسأل الصفح . ذلك سيكون افضل بكثير لك ، ولكل انسان . ستسعدهم ، وتسعد نفسك ايضا . انت تدرك انك قمت بعمل سيىء . عمل سيىء شقي . لقد آذيتني كثيرا ، وآذيت امك . نعم ، امك يا جاك . لقد آذيتها كثيرا . اصلح خطأك .ها ، ستصلحه ؟ (يركع بجانب الطفل) ستفعل ؟ قل انك ارتكبت خطأ . انظر الي يا جاك . قل . انك كنت ولدا سيئا .

(ايليا نور ، ام جاكوب ، تدخل باكية الى الغرفة) .

ايليا نور : لا .

هنري : لم افعل له أي شيء (يقف) لم أمسه .

ايليا نور : لا تؤذه .

هنري : ولكنني لم اؤذه . انني اقدر الامور تماما .

ايليانور ! بحق المسيح ، هل حدث وآذيته يوما ما ؟ لقد كنت لطيفا دائما معه . أريده ان يسلم فقط بأنه كان شقيا ، وانه قام بعمل سيىء هذا كل ما هنالك .

ايليا نور : قل انك آسف يا جاك ، قل لامك انك آسف .

هنري : أي كبرياء !

ايليا نور : انه طفل لا يعرف الكبرياء .

هنري : هراء . تعال هنا .

ايليانور : أسمع ياجاك . لقد قمت بعمل سيىء ، شرير . لا ، ليس شريرا .

هنري : أجل . شرير . (يلتفت نحو الصبي) . كنا نقضي وقتا طيبا . اليس كذلك ياجاك ؟ كلنا معا . أنت ايضا كنت مسرورا ،أجل، لقد كنت مسرورا . أنا أعرف انك سررت . لقد رأيتك تضحك . كنت مسرورا . أجل ، كنت مسرورا . ذلك صحيح تماما . كلنا أردناه ان يكون يوما طيبا . يوما لا ينسى . لاجل جدك . وقد كان كذلك :يوما طيبا جدا ، (يتوقف) حتى قمت بعملك السيىء ذاك . وكما تقول امك ، عمل شرير . حسنا ، لقد انتهى الامر . تلف اليوم . لا شيء يمكن ان يعيده جيدا . كلا . لا شيء يمكن ان يعيده جيداً الآن. يا للحسرة . لا شيء . ولكنك تستطيع ان تقول أنك آسف ياجاك .قل انك آسف .

(صمت) .

ايليانور : انه لا يدرك ما فعله .انه لا يدرك ذلك .

هنري : ربما لا يدرك ما فعله ، ولكنه ينبغي ان يدرك الآن . لقد اوضحت له تماما ، بأنه كان على خطأ .

ايليا نور : ذلك لا يكفي . ينبغي ان تفهم ، ينبغي . أنا أعرف .

هنري : انك لحمقاء .

ايليا نور : اريدك ان تشرح له . هذا كل ما في الامر .

هنري : تريدين مني ان اكذب . تريدين ان احسم الامر بشكل خاطيء ، بأن أسلم بانني انا الذي ارتكبت خطأ . ان اعترف ، ان اركع على ركبتي . انا اعرفك . كل شيء من اجل حياة هادئة .حياة هادئة. هذا ما تطلبينه .

ايليا نور : لا . كل ما اريد هو ان تشرح له .

(صمت) .

هنري : جاك . انه من السهل ان تخطيء . عندما تكبر ستجد بأنه سهل جدا . نحن ايضا نستطيع ان نرتكب اخطاء ، وان نؤذي الناس . ولكننا لا نفعل هذه الاشياء كما فعلت انت اليوم . نحن لا نفعل ذلك لاننا .. (صمت) ماذا بحق الجحيم تظن نفسك ؟ (صمت) لماذا فعلت ذلك ؟ أنا لا استطيع ان افهم . خبرني لماذا فعلت ذلك ؟

ايليا نور : انه لا يفهم .

هنري : حسنا ، هو يفهم انه محبوس هنا . (لجاكوب) انت تفهم ذلك ، الست تفهم ؟ أنت تعرف بأنك معاقب .

ايليا نور : نريد ان نترك لك الوقت لتنعم النظر بما فعلته .

هنري : ذلك صحيح . لاننا نحبك . نحن نحبك كثيرا ، ونريد ان نصفح عنك . دعنا نفعل ذلك . قل انك آسف .

ايليا نور : ولكنك لم تشرح له . لم تشرح .

هنري : أعرف . أعرف . تريدينني ان اركع على ركبتي ، لاجله .

ايليا نور : لا ، كل ما أريد .

هنري : هل ارتكبت خطأ ما ؟ حسنا . هل ارتكبت ؟ تريدين مني ان ادعي بانني ارتكبت خطأ ما . أنا اعرف . أعرف ما تريدين .

ايليا نور : اريده ان يفهم . هذا كل ما في الامر .

هنري : اسمع يا جاك . في العالم توجد سجون . هل تسمعني ؟ في كل انحاء العالم يوجد رجال محبوس عليهم في سجون . رجال سيئون ، شريرون . اولئك الذين يسببون الاذى للناس كما فعلت انت اليوم . انهم يجلسون لوحدهم ،في غرف صغيرة ويتجولون في دوائر ضيقة . وفي الخارج ـ خارج هذا المكان ـ يوجد الآخرون . نحن الآخرين . نحن أحرار ، نعيش حياة طيبة . اننا لا ندمر ، نحن طيبون .

نحن طيبون يا جاك . اما اولئك السجناء فسيئون . هم سيئون ياجاك . سيئون جدا . بعضهم سيىء جدا حتى انه لن يطلق سراحهم، وسيموتون في السجن . يموتون ولا يخرجون منه ابدا . هيا . قل انك مخطيء يا جاك .

(صمت) .

ايليا نور : هل تعرف بأي شيء افكر يا جاك ؟ (تبتسم) افكر بك وقد أصبحت كبيرا .

هنري : وهل تنسين ما فعله ؟

ايليا نور : لا . لا .

هنري : لم تبتسمين اذن ؟ لم تتحدثين عن المستقبل ؟

ايليا نور : لانني اريده معي . اريدك معي يا جاك ، سأحتاجك دائما . لن تكون بعيدا عني مطلقا . افرح أباك اذن . كن ولدا طيبا وافرحه .

(يدخل ماكس الى الغرفة . انه شاب صغير) .

ماكس : خالي هنري ، أمي تريد ان تعرف كم من الوقت سيستغرق هذا .

هنري : انظر يا جاك ، هذا ابن عمتك ماكس .

ماكس : (لاليانور) آمي تسأل ،أن كان بامكانكم ان تنتهوا من هذا بسرعة .

هنري : لقد كنت تحب ماكس دائما . او هكذا يبدو . ألن تأسف لهذا اذن ؟ ماكس ذاهب ليعزف على البيان وليغني بضع اغنيات ، وكان سيؤذن لك ان تنزل يا جاك . كان سيؤذن لك ان تنزل وتسمع ، مع الكبار .

ماكس : لايليانور) باللغرابة . ما كنت لامتنع عن هذا عندما كنت صبيا .

ايليا نور : انه لا يفهم .

هنري : سيغني ماكس اغنيات طريفة لنا ، ويمكنك ان تنزل يا جاك، لو قلت انك آسف . قل انك آسف .

(صمت . ماكس يقعي بجانب جاكوب ، متطلعا الى الاعلى نحوه) .

ماكس : هيا ، يا جاكي الصغير . لا تتلف الحفل . لن تتهيأ لجدنا بعد متع كبيرة في حياته . لقد انتهى لهوه .

ولكنك انت ستظفر باللهو كله يا صغير . لو تكون طيبا ، لو تقول انك آسف . ينبغي عليك ان تكون طيبا في بعض الاشياء ، وتستطيع ان تكون سيئا في اشياء اخرى ، اتسمعني ؟ قل أنك آسف ايها الولد السيىء ويصبح كل شيء لك . اتفهم ؟ دع ماكس يعلمك . لو كنت تقدر كل الذي يحيط بك لما فكرت ان ترمي به جانبا بهذا الشكل . هيا ، انت تريد ان تصبح كبيرا . ألست تريد ذلك ؟ اذن قل : انا آسف .

(صمت) .

هنري : ولا يهمه .

ماكس : لنكن صريحين حقا ، من يهتم بهذه الامور ؟

هنري : ينبغي ان نعلمه كيف يهتم بها .

ماكس : هالك اياه .

هنري : (لجاكوب) لن تربح أيها الاحمق الصغير . ليس الان . وفر جهدك .

(صمت) لسوف اقذف بك الى الجحيم .

(صمت) .

ايليانور : تذكر كيف كنت ولدا صغيرا جدا .

هنري : تذكر كيف علمتك الصلاة .

ايليا نور : انت تتذكر كيف تتلى الصلاة ؟

هنري : بالتأكيد .

ايليا نور : (لهنري) أوه ، يا عزيزي . انني سعيدة جدا .

هنري : لنحاول ذلك يا جاك . صلاة صغيرة فحسب لتسرني .

سأعطيك بدايتها ، هيا . يا يسوع الوديع ، ايها الحليم واللطيف . اكمل من هنا . (صمت) حسنا ، لقد تلوتها مرة . تلوتها مرة انت.اذا كنت قد نسيت . فانني اتذكر ، كيف جثوت على ركبتيك . والآن انظر الى نفسك . انظر الى نفسك الآن . تحنث بوعدك للمسيح ، هذا هو ما أنت فاعله . فكر به يا جاك . أوه . جاك . من اجل المسيح ! كيف تستطيع ان ترفض ؟ كيف تستطيع ؟

(صمت . تدخل سارة الى الغرفة) .

ماكس : ماما ، ان جاك يصبح ولدا شقيا . انه لا يعلن اسفه للفظاعة التي ارتكبها . انه ضائع تماما . ابوه وعده بأن يسمح له اذا اعتذر بالنزول الى تحت ، ليسمع كيف اغني واعزف . ولكنه صامت ياماما . أوه انه لضائع .

سارة : انت ولد طيب يا ماكس ، لم تكن تعصى اوامر والدك ابدا عندما كان حيا .

ماكس : أوه ماما . كنت احب ابي من كل قلبي .

هنري : هذا الطفل لا يحب أحدا .

ايليا نور : انه يحبني .

هنري : يحبك ؟

ايليا نور : أجل . يحبني .

هنري : (لجاكوب) حقا ؟

ايليا نور : أجل .

هنري : (لجاكوب) تحب امك ؟

(صمت . هنري يضحك) .

ايليا نور : حبه لامه ليس بحاجة الى كلمات للتعبير عنه .

هنري : لا تتوقعي ما يسرك أنت .

سارة : آه . هذا الطفل لا يفهم أبدا جمال الحب . لا يعرف لذة الخضوع . لقد عرفت أنا هذه اللذة جيدا ، حتى اخذها مني شريك حياتي . ان تستيقظ ولا تجد من تخضع له . أوه كان ذلك امرا فظيعا.

ماكس : ما زلت انا عندك يا ماما .

سارة : نعم يا عزيزي . ما زلت انت عندي .

(تدلله بطريقة مبتذلة) .

ماكس : أوو ماما . أحبك . أحبك .

هنري : اترى هذا يا جاك ؟ اتسمع ؟ اما تخجل من نفسك ؟

سارة : عزيزي .

ماكس : أوو .

سارة : يا حلوي .

ماكس : أوو .

سارة : قبلني . قبلني .

ماكس : أوو . أحبك ي ي ي .

(يتلاثمان . صمت . هنري يتطلع نحو جاكوب) .

هنري : كنت في البداية قد عقدت الامنيات حولك . كان كل شيء رومانتيكيا : انوار ناعمة وموسيقى عذبة . الرقص خدا فوق خد. كنت أنا شابا . عندما افكر بهذا أود لو ابكي . أود لو ابكي حقا .

(يتلمس اليانور ويأخذ بيدها : يتحدث اليها) تذكري كيف رسمنا له مستقبله ؟ كيف سيكون ابننا ؟ هل سيسير على رجلين او على أربع ؟ قررنا على اثنتين . اتتذكرين ؟ حتى يصبح رأسه أقرب الى السماء . انت اردت ذلك بحبك للشعر الرقيق . كلما كانت رجلاه مفرودتين اكثر في الارض ، كانت طلعته اكثر وقعية ، هكذا فكرت أنا .ولكنك قبلتني ، وأذعنت أنا . واضحى هو كما تصورناه بالضبط . كل شيء بدا حسنا . تذكري كم كنا سعداء ؟ تذكري امسيات الشتاء الطويلة ، عندما كنا نجلس لنقرأ الحولية المدرسية وتربية الاطفال . كان هو مضطجعا يحبق في مهده ، وكنا نحن نضحك لذلك كثيرا . كم احببناه، (يحدق الى الاسفل نحو جاكوب) كان ذلك هذا المجرم الصغير .

ايليا نور : انت تنسى . انك تبالغ . لقد ولد لنا بنفس الطريقة التي يولد فيها الابن لكل انسان تقريبا . كان الوقت متأخرا . وكنت

انت متعبا ، وانا اوشك ان أنام . لم يكن ثمة شيء غريب او عجيب . تكلمنا بالطبع عن دراسته وهو صغير وماذا سيصبح عندما يكبر .ولكنك كنت تقلق كثيراً من اجل المال فحسب . كان كل ذلك لاجلنا بالذات منذ البداية ، لا لاجله .

(هنري يطلق يد اليانور) .

هنري : انت تأخذين جانبه ثانية . هذا ليس بالوقت الملائم . لو كنت رقيقا مثلك لحطمت قلبي منذ زمن بعيد . اهتمي بالصغير الآن .

ايليانور : (لجاكوب) هل انت آسف لما فعلته ؟

هنري : (لاليانور) وانت ؟

(صمت) .

ماكس : ماما . هل كنت لطيفا عندما كنت طفلا ؟

سارة : كنت معبودا .

ماكس : هل حدث وجبستموني مرة هكذا ؟

سارة : مطلقا .

ماركس : ولا مرة ؟

سارة : ابدا .

ماكس : هل اعطيتموني مرة صفعة صغيرة ؟

سارة : (تتوقف قليلا) مرة .

ماكس : اوو ماما .

(تدخل آمي الى الغرفة) .

آمي : كان علي ان اترك الاب هناك في الاسفل . ان هذا ليس بالامر الصحيح .

ماكس : هل يريد هو ان يصعد ؟

آمي : انتم تعرفون ما الذي يعجبه . انه يكره ان يفوته أي امر طريف يمكن ان يحدث . ولكنني لا أستطيع ان ارفع الكرسي ذا العجلات فوق السلالم .

ماكس : انا أحب جدي كثيراً . لا اريد ان يظل وحيدا ، لا اريد .

(يخرج ماكس) .

سارة : انظر الى عمتك آمي يا جاك . انها امرأة طيبة حقا .

آمي : لا ياسارة .

سارة : اجل يا آمي ، انك امرأة طيبة .

آمي : لا يا سارة ، انني خاطئة وشريرة مثل جاك الصغير ، ولكنني اكفر عن ذلك دائما .

سارة : أوه . انت رائعة وجميلة . انت رائعة مثل .. مثل العسل .

آمي : ألم يقل بعد أنه آسف ؟

هنري : لا .

آمي : ربما يمكنني ان اساعدكم . اسمع يا جاك . عندما كنت صغيرة بعمرك انت اردت كل شيء في العالم لنفسي . تصورت انني جميلة .

سارة : لقد كنت جميلة يا آمي .

آمي : موهوبة .

سارة : لقد كنت كذلك .

آمي : ومحبوبة .

سارة : ألم تكن كذلك يا هنري ؟

آمي : وتصورت ان لي الحق في كل شيء . لقد ضعت في حلم .

سارة : اختصري ذلك يا آمي . سددي الي الموضوع . حديثهعن زياراتك للسجن . كيف تجوبين عنابر المستشفى ، وكيف تحببين المجاذيب .

آمي : انني اذهب لاتفقد السجناء ياجاك . وبعض الاحيان المحكوم عليهم بالاعدام . وهم غالبا ما يمسكون يدي ويسألونني المغفرة ، كما تستطيع ان تفعل أنت الآن . ها ؟ ستفعل ؟

(صمت . الطفل لا يتحرك) .

آمي : في عنابر المستشفى لا يوجد موت مفاجيء . الحيوية ترتد هناك ببطء الى الطبيعة . انني اتجول في ارجاء العنابر ، ويوجد رجل لا شيء لديه سوى فم هائل ، يسألني بركاني دائما .

هل ستفعل انت مثله ؟ (صمت) في الملجأ يركضون نحوي ووجوههم الطفلة العزيزة تشرق بالحب . وثقتهم عظيمة جدا . في احدى الليالي وجدت فتاة هناك ، وقد استقر فوق عينيها المفوحين الدود وغاص حتى الداخل . المخبول فقط لا يستطيع ان يتعلم مني شيئا عن الاخلاص والنقاء . وانت لست مخبولا يا جاك .

(صمت) .

هنري : الا تدرك كل ما تضحي به عمتك آمي لتجلب الهدوء لكل اولئك الناس ؟ ألا تحترم هذا ؟ ها هي تقدم حبها لك وانت ترفضه .

آمي : لا بأس يا هنري .

هنري : كيف ياآمي ؟ أهو متكبر الى الحد الذي يحس بنفسه انه افضل من المحكومين بالاعدام والمرضى والمجانين ؟ يمكنه ان يلاحظ على الاقل تضحياتك التي تقومين بها .أوه يا آمي ، أي فتاة حبيبة كنت عندما كنا اطفالا . هل يعني شيئا هذا ؟ العيش من أجل الآخرين ؟

آمي : اجل يا هنري ، انه يعني الكثير عندما يتقبله الآخرون . ليس مثل نفلك المرذول هذا . الدنس .

سارة : لا افهم كيف اصبح عندكما انت واليانور مثل هذا الطفل . كيف ولد لاخينا الحبيب ، المعبود ، طفل كهذا ياآمي .

آمي : ربما ولد كلعنة .

سارة : هل تعنين لعنة من الله يا عزيزتي ؟ انهم يأتون من الله كما تعرفين .

آمي : أجل يا هنري ، بعضهم لا يحتاج الى الآخرين . يوجد المجرم الذي يرفض التوبة ، المريض الذي يموت بصمت ، المجنون الذي يضحك ويمضي .. الى الجحيم بهم .

هنري : (يركع امام جاكوب) قل انك آسف . سأفعل أي شيء . سأعطيك أي شيء . جاكوب اصغ . لقد سمعت ما قالته آمي . ارجع الى حفلة العائلة قبل ان يصبح ذلك متأخرا جدا . تعال معي ارجوك. عزيزي . ارجع . ارجع ..

(صمت . اليانور تبكي . صمت طويل) .

هنري : ارجع .

(يدخل خادمان الى الغرفة يحملان كريكوري جد جاكوب على كرسي مطبخ . كريكوري العجوز دمية متلوفة لرجل . يضعه الخادمان مقابل الطفل . ماكس يتبعهم الى الغرفة .)

ماكس : كما قلت بالضبط . لم يشأ ان يفوت على نفسه فرصة للهو .

سارة : ابت . جاك لا يريد ان يقول انه آسف .

كريكوري : وهل يعني هذا شيئا ؟

ايليانور : ماذا تقصد ؟ ذلك لا يعني أي شيء ؟ لا حاجة الى الاعتذار اذن ؟ يستطيع ان ينزل معنا من دون ان يعتذر ؟

كريكوري : كلا . الاعتذار لا يعني شيئا لانه متأخر جدا .

ايليانور : متأخر جدا ؟

كريكوري : أجل . ما الذي سيحل بنا ، اذا ما اطلق سراح كل المجرمين حين يقولون انهم آسفون ؟

ايليانور : ولكنه لا يفهم ما قام به .

كريكوري : لا احد يفهم ما يقوم به . انت تزعقين كما لو انك تتصورين ان هذا اعتذار . انك لحمقاء . لقد كنت حمقاء دائما .

هنري : أنا أيضا قلت لها ذلك يا أبي .

ايليانور : (لكريكوري) ارجوك حاول ان تجعله يقول انه آسف .

(كريكوري وجاكوب يحدق احدهما بالآخر) .

كريكوري : لماذا ينبغي علي ان اشرح لك ؟ هذا لا يعني شيئا الآن . انه ليس بضروري ، خصوصا عندما تصبح بعمري . المسألة كلها هي مسألة (بتردد) العدالة .

ماكس : (لسارة) أوه ! انه على صواب . هذه هي المسألة كلها .

اين سنكون بلا عدالة ؟

كريكوري : هل وجد احدكم شيئا طيبا ليقوله عن الولد ، مهما يكن ضئيلا ؟ هيا . تكلموا .

ايليانور : لقد كان دائما لطيفا جدا معي ، يحبني كثيرا .

ماكس : حب الام يخفق في حماية الطفل .

آمي : الكل يحبون امهم . انهم يتعلقون بهذا المثال . في المشنقة وتحت السكين أحب أمي .

كريكوري : الندم . ألا توجد اشارة تدل عليه ؟

هنري : أخشى ان لا . ذهبت بعد اكتشاف الجريمة لاراه . كان جالسا على سريره يأكل الجبلي ويشرب الحليب .

كريكوري : ويبدي عدم الاهتمام ؟

هنري : أجل .

ماكس : مشهد عسير . أب في المحكمة يعترف بجريمة ابن .

كريكوري : هل وقع في مشاكل من قبل ؟

هنري : اعتاد أن يبلل فراشه ، ولكنه تخلى عن ذلك الآن .

ماكس : شهادة طبية تسبب الاضطراب .

كريكوري : لنأت الى الجريمة الحقيقية . سارة .. هل شاهدته؟

سارة : لا بالطبع . لقد تجاهلت رؤيته . أنا لست معتادة على رؤية مثل هذه الاشياء . اسأل ماكس . انني أحاول أن احفظ الاشياء لطيفة دائما .

ماكس : اجل ياجدي ، انها تفعل ذلك .

سارة : أنا اتجنب البذاءة . وهكذا لم أشأ ان ارى ما يفعله جاك .

ايليانور : واذن كيف عرفت بأن ذلك سيىء جدا ؟

سارة : (تصرخ) ولكنني اقرأ الصحف . ألست أقرأ ؟ وانا أعرف أي شيء هو الرجل . (تؤشر نحو جاكوب) هذا ينبغي ان لا يسمح به.

(ماكس يحيطها بذراعه) .

كريكوري : آمي . انت اعتدت كل شيء . كل انواع الخبث . الكثير من الجنون والمرض . ما هو رأيك ؟ كم كان سيئا ذلك ؟

آمي : حسبما اعرف شيء غير قابل للعفو ، جريمة . بشاعة.

كريكوري : (لجاكوب) اتسمع ؟ ماذا تتوقع أن نفعل ؟ ان نعود بك كولدنا الصغير ؟ املنا ومستقبلنا ؟ لا تنتظر هذا .

ماكس : القاضي يحسم .

هنري : حاولت ان اشرح له كيف نعيش يا أبي .

كريكوري : وهل فهم ؟

هنري : اعتقد انه فهم بأن طريق العودة طويل وصعب .

كريكوري : انني اكبر بكثير من ان استطيع العودة يا هنري .

هنري : (بلطف) نحن نتكلم عن جاكوب يا أبي .

كريكوري : جاكوب الصغير . ما الذي فعله ؟

آمي : (بسرعة) ها هو يا أبي ، انظر اليه ، هناك امامك .

كريكوري يلتفت ويحدق بالطفل .

كريكوري (بضحكة عالية) يا للمسيح . انني لا اجد أي عقوبة لك . خذوني خارجا .

ماكس : مثير . طفل مقضي عليه .

كريكوري : خذوني خارجا .

(الخادمان يرفعان كريكوري بكرسيه) .

سارة : سندع ماكس يغني اغنيته . الا تريد ان تسمعها ؟ تلك التي عن حماة التاجر المسافر . لقد تعلمها خصيصا ليغنيها لك .

كريكوري : أجل ، دعوا ماكس يغني اغنيته .

ماكس : أووو ... شكرا يا جدي .

يحمل الخادمان كريكوري خارج الغرفة . تتبعهما سارة وآمي .

ايليانور : (لهنري) دعني ابقى معه .

هنري : كلا .

ماكس : المرافعة الاخيرة تخفق .

(يذهب ماكس ، تتبعه اليانور ، مغلقة الباب وراءها . يبقى هنري وجاكوب وحدهما) .

هنري : عندما يقال كل شيء ويفعل كل شيء ، يبقى اثنان فقط وجها لوجه . الجلاد والضحية . وعندما تنتهي الامور الى هذا يا جاك، عندما تنتهي الامور الينا ، وحدنا ، سوية كما هو الآن ، فماالذي يقف بيننا ؟ لا حقد ، ولا حب . لا شيء يقف بيننا . لاننا نعرف احدنا الآخر كما نحن عليه . ولكن الجلاد يبعث حيا ، جائرا ، شيطانا مريرا .

(صمت . عندما يتكلم هنري ثانية ، يسمع صوت ثان . انه صوت هنري المضخم،الناطق عن غير ارادته. سيقولهنري الكلمات التالية ، وهو عارف بالصوت الآخر ، يحاول وعيناه تزيغان ان يمسك به . انه يتردد ويتلعثم ، ويمسك به مرة اخرى ليتوافق معه . ويستمر الصوت الثاني بعناد حتى اللحظة الاخيرة) .

هنري : ان الامور تجري بهذا الشكل ، خارج هذا المكان ثمة اناس طيبون ، يعيشون حيوات طيبة . اما نحن ، فعلينا ان نكفر عن وجودنا ، ان نأسف حقا لما نحن عليه ، ونركع على ركبنا تكفيرا عن انفسنا .وهكذا يسمح لنا بأن نمضي احرارا ، يسمح لنا بأن نذهب أنى نشاء في هذا العالم الصغير ، الضئيل . ولا يلقى بنا في السجن . لا . توجد اولا حرية الرحم المضمونة . وحرية العائلة ، وحرية حب انسان ما . واكثر من ذلك أن نكون محبوبين . واخيرا توجد حرية القبر . كل هذا يمكن ان يصبح ملكك يا جاك ، لو قلت انك آسف . الا تقدر كل هذا الذي ستخسره ؟ كيف تستطيع ان تكون عنيدا بهذا الشكل؟ يعطي لك ما يريده كل انسان ، ولكنك ترفضه .

(صمت . يبدأ الصوت الثاني ويتعثر هنري خلفه) .

هنري : انت سببت ذلك لنفسك . انظر ما نحن عليه الآن . ليس بيننا عواطف كالتي ينبغي أن تكون بين ابن وأبنه ، ولا حتى بين اثنين من الكائنات البشرية . انت هنا ، وانا ...

صوت هنري : (لوحده) في الخارج هناك .

هنري : انت فعلتها . انت فعلتها . بفظاعة جرمك اولا ، وبرفضك الاعتراف ثانيا . انت فعلتها . انت فعلتها . كنت اريد أن احبك كثيرا. كنت اريد أن نكون معا ، ان احبك .. والآن ...

صوت هنري : كم أود لو لم تولد ابدا .

هنري : لا .

صوت هنري : كم أود لو لم تولد ابدا .

هنري : (بهمس) كم أود لو لم تولد ابدا .

(صمت . البيانو يعزف في الاسفل نغما شائعا . ضحك) .

هنري : (لوحده) سأنزل الى الاسفل الآن ، أعود الى الحفلة . وستظل أنت هنا هذه الليلة . لقد كنت ولدا شقيا جدا يا جاك . كان ينبغي ان تعاقب . في الصباح سوف أصعد اليك ، وحينذاك امل ان اجد ابني الحقيقي .

(ينزع هنري المصباح . ظلام) .

هنري : الولد الذي أريد أن أحب .

(يذهب هنري . يغلق الباب ، ويستمر البيانو في العزف) .

يغادر جاكوب الكرسي ويتقدم الى الامام محدقا بالمسرح . انه ينتظر ، كما لو ان كلمة ستقال . هل سيتكلم واحد منا ؟ لا . ولو اردنا حقا ، فما الذي بامكاننا ان نقوله ؟ يلتفت جاكوب ويختفي في الظلمة .

يستمر البيانو في العزف . الكرسي يسقط .

اننا نألف الظلمة . اننا نرى .

لقد شنق الطفل نفسه . انه يتأرجح بشريط بجامته ، وبنطلونه ساقط حول رسغ قدميه . انه يبدو كشيء تافه ، لا قيمة له : حقيبة عظام ، لحم رخيص في خطاف قصاب .

موسيقى .

قهقهات .

عن مجلة « لندن مجازين ، عدد ٤ ، ١٩٦١ »

ترجمة محمد كامل عارف